

مكانة المرأة وشأنها في المجتمع

المكان: طهران

الزمان: 1390/3/1 ش. 1432/6/18 ق. 2011/5/22 م.

الحضور: جمع من السيدات النخبة

المناسبة: ولادة بضعة النبي(ص) فاطمة الزهراء(ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً أبارك أيام ولادة سيدة العالمين وسيدة نساء أهل الجنة الصديقة الزهراء (سلام الله عليها). هذه الجلسة والحمد لله جلسة جدّ مهمة وقيمة. أولاً الحضور المحترمون سيدات بارزات في مختلف قطاعات الحياة الاجتماعية والعلمية، وهنّ من النخبة الحقيقية في المجتمع، سواء منهنّ الأستاذات المحترمات والمميزات في شتى الميادين العلمية والتقنية وسواها، أو عوائل الشهداء المحترمة.. زوجة الشهيد المحترمة هذه وأمّ الشهداء الأربعة من النماذج على ذروة مسيرة السيدات نحو الكمال والتعالى. الحمد لله على أن هذه الجلسة جلسة مميزة وجيدة من كل النواحي. الأهمية الأخرى لهذه الجلسة طابعها الرمزي. لا شك أن هناك في كل أرجاء البلاد سيدات محترمات أخريات أحرزن مراتب مميزة، وأبدین لياقات، ويعتبرن أصداء لتقدم البلاد ومستقبلها. هذه الجلسة رمز لجمال المسيرة العظيمة للسيدات في البلاد.

الأفكار التي طرحتها السيدات هنا اشتملت تقريباً على كافة الجوانب المتعلقة بالمرأة من الزاوية التي يجب أن ينظر منها النظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية لهذه القضية ويتابعها. لقد أصغيتُ للكلمات بدقة، ووجدتُ أنّها تضمنت جميع الأمور التي يمكن في الوقت الراهن أن تمثل عناوين البحث والتحقيق والدراسات حول قضايا المرأة، وتكون أساساً للبرمجة في البلاد. وهذا ملفت ومريح جداً بالنسبة لي.

حسناً، لو أردنا إصدار حكم إلى هذا الحدّ من القضية فسوف يكون هذا الحكم أو التقييم أن نظام الجمهورية الإسلامية استطاع الوصول إلى قمة هي عبارة عن تربية وإعداد نسوة واعيات عالمات صاحبات أفكار وآراء ونظرات بشأن أدق قضايا المجتمع وأكثرها حساسية، وسوف أذكر هذا الجانب. قضية المرأة – والتي يجب تسميتها في العالم اليوم بأزمة المرأة – من أكثر القضايا حساسية في كل حضارة ومجتمع وبلد. وقد استطعت في هذا الخصوص الوصول إلى دقائق وعناوين مهمة والتفكير في هذه القضية. وبالتالي فإن هذا التقييم هو أن الجمهورية الإسلامية استطاعت الوصول إلى قمة ربما لم تبلغها الكثير من بلدان العالم.

وأذكر هنا نقطة هي أن قضية المرأة والعائلة رغم كل الجهود المبذولة – التي بذلتها أُنتم أو الآخرون – لا تزال قضية مهمة وجديرة بالبحث والتوسع في التفكير. وهذا الموضوع أحد موضوعات ملتقيات الأفكار الإستراتيجية التي سنقيمها في المستقبل إن شاء الله. ملتقيات الأفكار الإستراتيجية التي أقيم منها لحد الآن ملتقيان اثنان، والتي تتولى القيام بالمهام الفكرية ومن بعد ذلك إن شاء الله البرمجة والعمل، تدرس أهم القضايا الفكرية في المجتمع وأكثرها إستراتيجية. ومن هذه القضايا قضية المرأة والعائلة التي قررت ضمن لائحة هذه القضايا، وسوف يقام لها ملتقى في المستقبل. وأنا أطلب هنا من السيدات المحترمات والمفكرات – اللواتي شاهدنا نماذج منهن هنا اليوم والحمد لله – أن يشاركن في هذا المشروع مشاركة جادة ويبحثن ويفكرن ويدرسن العناوين والفصول المتعلقة بقضايا المرأة بنحو منفصل وتخصصي وبشكل علمي وبالاعتماد على المصادر الإسلامية والفكر الثوري الأصيل – وهو متوفر فيكن والحمد لله – استعداداً للملتقى الخاص بهذا الموضوع، لتطرحن أفكاركن هناك وتناقشنها، كي يُستفاد منها إن شاء الله في البرمجة والعمل.

حول قضية المرأة في المجتمع تعود المشكلة في أساسها إلى أمرين. هناك نقطتان أساسيتان إذا أمكن التفكير فيهما، وإطلاق مشروع جديد لهما، والعمل لهما بنحو دؤوب ومستمر لأمكن التفاؤل بحلّ الشيء الذي يمكن اعتباره أزمة قضية المرأة في العالم على مرّ الزمن، أي على المدى المتوسط أو البعيد. وهذان الأمران أحدهما النظرة المغلوطة والسيئة لمكانة المرأة وشأنها في المجتمع، وهي نظرة وسوء فهم بدأ من الغرب وليس بالقديم والمتجذر جداً. ادعى البعض أن هذه الحالة موجودة في بروتوكولات المفكرين الصهاينة ويمكن تخمين أن هذا الأمر ليس بخلاف الواقع. بمعنى

أنا لو نظرنا لوجدنا هذه النظرة الخاطئة وهذا الفهم الموهج والسيئ بخصوص منزلة المرأة في المجتمع ربما ليس له من الماضي في الغرب أكثر من مائة أو مائة وخمسين سنة، وقد انحدر من الغرب إلى المجتمعات الأخرى بما في ذلك المجتمعات الإسلامية. هذه نقطة.

والنقطة الثانية وهي أساس المشكلة تتمثل في سوء فهم قضية العائلة وسوء التصرف داخل العائلة. هاتان هما المشكلتان اللتان يبدو لنا أنهما أوجدتا أزمة قضية المرأة، وهي مشكلة أساسية في العالم اليوم. ربما كان تعبير «أزمة المرأة» تعبيراً مثيراً للاستغراب. تطرح في الوقت الراهن أزمة المناخ، وأزمة المياه، وأزمة الطاقة، وأزمة ارتفاع درجة حرارة الأرض باعتبارها القضايا الرئيسية التي تواجه الإنسانية، لكن أياً من هذه ليست قضية أصلية للإنسانية. معظم الأمور التي تمثل المشكلات الرئيسية للبشرية تعود إلى قضايا ترتبط بمعنوية الإنسان وأخلاقه والسلوك الاجتماعي بين أفراد البشر، ومنها قضية المرأة والرجل ومكانة المرأة ومنزلة المرأة في المجتمع، وهي حقاً أزمة لكنهم يتكتمون عليها، والسياسات المهيمنة على العالم لا ترى من صالحها، بل ربما ترى بخلاف استراتيجياتها الأصلية، أن تطرح هذه القضية.

بخصوص القضية الأولى وهي مكانة المرأة في الحياة والمجتمع - ويمكن تسميتها بأية تسمية تشاؤون - تكمن المشكلة في أنهم أوجدوا تدريجياً «لامعادلة» يقف في أحد طرفيها الجانب المنتفع وفي الطرف الآخر الجانب المعرض للاستغلال. هكذا قسّموا البشرية. الطرف المنتفع هو الرجل والطرف المعرض للاستغلال هو المرأة. هذه حالة تفتشت بشكل هادئ وتدرجي وبأساليب شتى وبمختلف الطرق الإعلامية وعلى امتداد عشرات الأعوام، وربما يصل الأمر إلى مائة عام أو مائة وخمسين عاماً، ولا أستطيع القطع في ذلك بنحو دقيق، إنما هي قضية قابلة للبحث والتحقيق.. تفتشت هذه الحالة في المجتمعات الغربية أولاً ثم تسربت إلى المجتمعات الأخرى. هكذا عرفوا المكانة الاجتماعية للمرأة: المرأة مخلوق يجب أن ينتفع منه الرجل. لذلك إذا أرادت المرأة في الثقافة الغربية أن تظهر وتكتسب شخصيتها فلا بد لها أن تعرض شيئاً من جاذبيتها الجنسية. حتى في المجالس والمحافل الرسمية يجب أن تكون ثياب المرأة بشكل جذاب للطرف المنتفع أي الرجل.

إن هذا في رأيي يمثل أشد ضربة وأكبر إهانة وأعظم غمط للحقوق حصل في مجال قضية المرأة. أن تتكون في البيئة الاجتماعية ثقافة يجري فيها الانتفاع من المرأة لصالح طرف آخر منتفع. هذا

ما هو موجود اليوم للأسف في الثقافة الغربية. وقد قلدهم الآخرون وسعوا في هذا السبيل وتفشيت هذه الحالة في العالم. وإذا نادى مناد بخلاف هذا فسوف يثيرون الضجيج ضده. مثلاً إذا أدينت في مجتمع من المجتمعات حالة تبرج النساء وإبدائهن زينتهن في الأماكن العامة فسوف يثار الضجيج ضد هذا النداء. وإذا حصل العكس - أي إذا جرى الترويج لتعري النساء في مجتمع من المجتمعات - فسوف لن يثار أي ضجيج ضد ذلك في العالم. أما حينما ينادي مناد بحشمة المرأة وعدم تبرجها وعدم إبدائها زينتها في المجتمع تستيقظ الأجهزة الإعلامية المهيمنة في العالم وتثير الضجيج. هذا دليل على وجود ثقافة وسياسة وإستراتيجية تتابع منذ سنوات عديدة، وأساسها تكريس هذا الموقع وهذه المكانة وهذا الشأن المغلوط والمهين للمرأة، وللأسف فإنهم فعلوا ذلك.

لذلك تلاحظون أنهم راحوا يعارضون الحجاب في الغرب بصورة علنية. والعنوان الذي يذكرونه لهذه المعارضة هو قولهم إن الحجاب رمز لحركة دينية، ونحن لا نريد في مجتمعاتنا - وهي مجتمعات علمانية - طرح الرموز الدينية. وأعتقد أن هذه كذبة، والقضية ليست قضية دين وغير دين، إنما القضية هي أن السياسة الإستراتيجية الأساسية الجذرية للغرب قائمة على استعراض المرأة وابتذالها وعلى معارضة الحجاب. حتى لو لم يكن الحجاب ناتجاً عن دوافع إيمانية ودينية فإنهم يعارضونه. هذه هي المشكلة الأساسية.

ولهذه الحالة تبعاتها ولوازمها المؤلمة جداً في المجتمعات البشرية. ومنها حالة تضعف أسس العائلة حسب التقارير التي أشارت إحدى السيدات المحترمات إلى نموذج منها، وحالة المتاجرة بالمرأة المؤسفة الباعثة على البكاء. في العالم اليوم وحسب الإحصائيات المعلنة - ويبدو أن هذا التقرير هو من تقارير الأمم المتحدة، فهو تقرير لمركز رسمي - فإن أسرع أنواع التجارة تنامياً في العالم هي المتاجرة بالنساء وتهريب النساء. وأساء البلدان في هذا المجال هي عدة بلدان منها الكيان الصهيوني. يجمعون النساء والفتيات بذريعة العمل والزواج وما إلى ذلك من البلدان الفقيرة ومن أمريكا اللاتينية ومن بعض البلدان الآسيوية ومن بعض البلدان الفقيرة في أوروبا ويأخذونهن ويسلمونهن في ظروف جد عصيبة إلى مراكز ترتعد فرائص الإنسان لتصورها وذكر أسمائها. كل هذا قائم على نظرة خاطئة وعلى لا معادلة ظالمة بخصوص مكانة المرأة في المجتمع. ظاهرة الأطفال غير الشرعيين - وأعلى رقم للأطفال غير الشرعيين هو في أمريكا - وظاهرة الحياة المشتركة من

دون زواج، وهي في الحقيقة تدمير للعائلة وأجوائها الحميمة وبركاتها وحرمان البشر من هذه البركات والخيرات. هذه كلها ناجمة عن المشكلة الأولى. ويجب التفكير بكل هذه المشكلة. يجب تعريف مكانة المرأة والوقوف بكل جدّ بوجه المنطق الغربي الشقي.

قلت ذات مرة إنهم سألوني: ما هو دفاعكم حيال ما يقوله الغربيون بخصوص قضايا المرأة في البلاد؟ فقلت لهم: لا دفاع لنا، إنما لنا هجومنا! إنما في ما يتعلق بقضايا المرأة ندين الغرب ونداعيه، فالغربيون هم الذين يظلمون المرأة ويهينونها ويهبطون بمثلتها باسم الحرية والعمل ومنحها المسؤوليات.. يضغطون عليها نفسياً وعاطفياً ويهينون شخصيتها ومكانتها. هم الذين يجب أن يجيبوا. والجمهورية الإسلامية لها مسؤوليتها في هذا الخصوص. على الجمهورية الإسلامية في ما يتعلق بقضية المرأة أن تطرح آراءها بصراحة ومن دون أية مجاملة وهي آراء في معظمها اعتراض على النظرة الغربية واللامعادلة الغربية الظالمة. وفق هذه الرؤية تكتسب قضية الحجاب وقضية نوع العلاقة بين المرأة والرجل معناها. هذه مسألة.

المسألة الأخرى - وهي المشكلة الثانية في قضية المرأة - هي مسألة العائلة. نظرة الإسلام للعائلة ومكانة المرأة في العائلة نظرة جلية جداً. «المرأة سيدة بيتها» (1). إنها كبيرة البيت وربته. هذا عن الرسول الأكرم (ص). مكانة المرأة في العائلة هي ما ورد في أقوال متعددة للأئمة الأطهار (عليهم السلام): «المرأة ريحانة وليست بقهرمان» (2). والقهرمان في اللغة العربية هو العامل والمساعد والخدام المحترم. يقول إن المرأة في البيت ليست بقهرمان بل هي ريحانة أي زهرة البيت. ويخاطب الرجال قائلًا: خيركم خيركم معاملة لنسائهم. هذه هي آراء الإسلام، وهناك أحاديث من هذا القبيل إلى ما شاء الله. ومع ذلك فإن تحقق ما يريده الإسلام في العائلة أمر لا ينتهي ويحلّ عند هذه الأقوال والأحاديث، إنما يحتاج إلى دعامة قانونية وسند تنفيذي وضمانة تنفيذية، وهذا ما يجب أن يحصل. ولم يحصل طوال الأعوام الماضية. العوائل المتدينة والرجال الذين يتمتعون بأخلاق حسنة والملتزمون بالشرع كانوا يلاحظون هذه الأمور، ولكن في الحالات التي لم تتوفر فيها هذه الخصوصيات ولم تجر ملاحظة هذه الأمور جرى ظلم المرأة داخل العائلة.

ولا نعتقد أن الغربيين متقدمون علينا في هذا المجال، أبداً. لدي الكثير من الإحصائيات، وقد ذكرت هذه السيدة المحترمة إحصائيات تشير إلى أن الوضع الداخلي للعوائل الغربية من حيث الظلم الذي يتعرض له المرأة وعدم مراعاة حقوقها أسوأ يقيناً من الوضع في العوائل الإسلامية

والإيرانية والشرقية، وليس بأفضل منه إن لم يكن أسوأ منه. وهو في بعض الأحيان أسوأ منه بالتأكيد. نحن لا ننظر إلى أولئك وهم ليسوا نموذجنا. لدينا في البيئات العائلية الكثير من النواقص تحتاج إلى دعائم قانونية وضمادات قانونية وضمادات تنفيذية وهذا ما يجب أن يتحقق. هذه المسألة من جملة المجالات والميادين التي قلما جرى العمل لها داخل البلاد وينبغي أن تزداد الأعمال فيها.

ولا يوجد أي نقص من حيث النظرة الإسلامية والنصوص الإسلامية في هذا المجال. نرى الذين ينتقدون الأفكار الإسلامية يشكلون أحياناً على قضايا الميراث والديات وما إلى ذلك، والحال أن إشكالاتهم غير واردة، وتوجد لها إجابات قوية ومنطقية. أما بخصوص السلوك داخل العائلة فهناك حالات غفلة للأسف، والحال أن نظرة الإسلام واضحة جداً. البيئة العائلية يجب أن تكون آمنة تماماً للمرأة وتوفر لها العزة والهدوء والطمأنينة لتستطيع المرأة النهوض بواجباتها الأساسية - وهي الحفاظ على العائلة وصيانتها - على أفضل وجه.

هناك الكثير من البحوث والنقاشات حول نظرة الإسلام للمرأة، وقد ذكرنا هذه الأمور مراراً. وقد قلتُ كراراً أن المرأة في القرآن الكريم هي نموذج الإنسان المؤمن المرضي من قبل الله، وكذلك نموذج الإنسان الكافر والمرفوض من قبل الله. وهذا شيء ملفت للنظر. حينما يريد القرآن أن يذكر نموذجاً للإنسان الصالح والإنسان الطالح يختار المرأة لهاتين الفئتين: «ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط» (3). يذكر القرآن هاتين المرأتين كمثال أي كنموذج ورمز للنساء السيئات.. زوجة نوح وزوجة لوط. وفي المقابل: «وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون» (4). يذكر كنموذج للمرأة الصالحة المؤمنة الأفضل شخصيتين إحداهما زوجة فرعون والثانية السيدة مريم: «ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها» (5). واللافت هو أن صلاح وسوء كل هذه النساء الأربع يعود إلى البيئة العائلية. يقول حول تلك المرأتين الطالحتين «امرأة نوح وامرأة لوط»: «كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما» (6). خانت هاتان المرأتان زوجيهما وهما نبيان كبيران رفيعا المترلة. القضية قضية العائلة. وموضوع المرأتين الصالحتين أيضاً يتعلق بالعائلة، الأولى زوجة فرعون وأهميتها وشأنها في تربيتها لرسول من أولي العزم هو موسى كليم الله وإيمانها به ومساعدتها له، لذلك انتقم منها فرعون. القضية قضية عائلية داخلية بما لها من مديات واسعة في التأثير، حيث قامت بتربية النبي موسى. وكذا الحال بالنسبة

للسيّدة مريم: «التي أحصنت فرجها»، أي صانت عرضها وحافظت على عفافها. وهذا دليل على أن في البيئّة الحياتية التي عاشت فيها السيّدة مريم (سلام الله عليها) كانت هناك عوامل يمكن أن تعتبر خطيرة على عفاف وعرض المرأة العفيفة، لكن السيّدة مريم كافحت ضدها. وبالتالي فإن كل الحالات تختص بهذه الجوانب التي ذكرت، أي جوانب العائلة ومثلة المرأة في المجتمع. وعليه فالمسألة مسألة مهمة.

طبعاً حققنا في الجمهورية الإسلامية تقدماً. نظرتي نظرة متفائلة. لقد شهدنا ما قبل الثورة عن كذب. الوضع الذي كانت بلادنا ومجتمعنا ونساؤنا تسرع إليه كان وضعاً مهولاً وخطيراً جداً. وبسبب الطابع التقليدي والاستعاري للوضع هنا كان ظاهر النساء هنا أحياناً أسوأ مما شاهدناه أو قرأناه في الصور والأحاديث والتقارير عن المرأة الأوربية! كانوا يروجون لمثل هذا الوضع. طبعاً استطاعت المرأة الإيرانية بما لها من جوهر إيماني في صميم ذاتها التغلب على هذه الموجة المخربة وأن يكون لها إسهامها الأساسي في الثورة، سواء بمشاركتها المباشرة أو بتشجيعها الرجال لتكون بالتالي من الأركان الأساسية لانتصار الثورة. وبعد الثورة كان تحرك النساء تحركاً ممتازاً.

من الضروري أن أقول إن زوجات المجاهدين في سبيل الحق والمناضلين والقادة وأمهاتهم هنّ حقاً آيات في الصبر والمقاومة. حينما يقرأ المرء سيرهن وما تحمّلنه من آلام ومرارات - طبعاً السيّدات زوجات المجاهدين قبل الثورة تحمّلن صعوبات معينة لكن النماذج المتكاملة كانت في فترة الدفاع المقدس - يشعر بما تجرّعته هؤلاء الزوجات والأمهات. بعثن أبناءهن للجبهات واستشهد الكثير منهم أو تعوقوا وبقيت أسوات الصبر والمقاومة هذه شامخات كالجبال. هذا على صعيد الأمور المعنوية والإنسانية. وعلى صعيد الشؤون السياسية وفي ميدان القضايا العلمية حقق البلد والحمد لله تقدماً ممتازاً. كل هؤلاء النسوة العاملات والأستاذات في مختلف الفروع العلمية وفي العلوم الحوزوية والعلوم الجامعية - ونموذج منهن أنتن الحاضرات المحترمات هنا - كلهن دلائل على نجاح الجمهورية الإسلامية. هذه هي نظرتي. وهي نظرة تجعل القلب متفائلاً بالمستقبل. إذا سرنا بهذا الاتجاه وبهذه السرعة إن شاء الله سنستطيع بالتأكيد التغلب على الثقافة الغربية الخاطئة الشائعة في العالم. ينبغي الجدّ والعمل والسعي والمتابعة. النظرة نظرة متفائلة، بيد أن هذه النظرة المتفائلة يجب أن لا تمنعنا من مشاهدة نقاط الضعف. لقد تقدمنا بعض الدرجات ولكن ربما كان بالإمكان التقدم عشرات الأضعاف. ما جعلنا لا نتقدم بتلك الدرجات هو هذه المواطن

من الضعف والمشكلات الموجودة التي أشرت إلى بعضها، وثمة مشكلات أخرى يجب أن تعالج وترتفع.

ما أروم ذكره في ختام كلامي هو أن المهمة الأصلية الأكبر مهمة ينبغي للسيدات أنفسهن أن ينهضن بها. أنتن اللواتي تستطعن أن تفكرن وتعمقن وتدرسن وتعالجن المشكلات على المستوى النظري والفكري وتقدمن الحلول التنفيذية على المستوى العملي. وهذا ما سوف يسهل الأعمال ويقرب نتائجها كثيراً. قدمت السيدات الاحترامات في هذا الاجتماع بعض المقترحات، وبعض هذه المقترحات عملية وممكنة تماماً وسهلة ويمكن تنفيذها والمبادرة إليها، وبعضها يمكن التمهيدها لها.

على كل حال أتمنى أن يكون مجتمعنا النسوي إن شاء الله من أكثر المجتمعات توفيقاً ونجاحاً، وأن تستطيع فتياتنا الشابات أن يقطعن خطوات أوسع على هذه الصعد التي تمهدونها، وأن تقترب يوماً بعد يوم إن شاء الله من الأهداف الإسلامية العليا. وسوف تترك هذه الجلسة إن شاء الله بركاتها في هذا المجال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

الهوامش:

- 1 - نهج الفصاحة، ص: 614.
- 2 - نهج البلاغة، الكتاب رقم: 31.
- 3 - سورة التحريم، الآية: 10.
- 4 - سورة التحريم، الآية: 11.
- 5 - سورة التحريم، الآية: 12.
- 6 - سورة التحريم، الآية: 10.